الفصل الرابع

منتخبات من آثار حسن العطار

١ ــ حسن العطار الشاعر

ا ــ الغزل :

رسالة عاشق لمعشوق

نظم الشاعر حسن العطار الأبيات التالية ، وعنونها بعنوان : رسالة عاشق لمعشوق ، ونشرها فى كتابه (الإنشاء) :

أعَنِ المحبِّ ثناكَ عنه وجيبُه ... أم قد دعاك إلى البعاد رقيبُه ؟ (١)

هَجَر الكرى لما هجرتَ وواصلتْ ... ه شجونُه ، وازداد فيك نحيبه (٢)

لم يجْن ذَنباً فى هواك وإنما ... قد كان بالهِجران منك نصيبه

أفقرتَهُ من حسن وصلك بَعْدما ... جادت عليك دموعه ونسيبه

وتركتَه والفكر فيك مع النهى ... ر سميرُهُ والسهْد منك منيبُهُ

لو للِّقا عَطفَتْه منك شكايةٌ ... رقَّت ، وَدَمع طافحٌ (٣) شُؤبوبه

لرأيتَ جسماً كالهلال من الضَّنَى ... ولهيبَ قلب مقلتاه تُذيبه

صِلْه لتستَبقى به الرَّمق الذى ... لولا الأَمانى ما بقى موهوبه (٤)

---

(١) ثناك عنه : صرفك عنه . والوجيب خفقان القلب واضطرابه .

(٢) الكرى النوم : والنحيب رفع الصوت بالبكاء .

(٣) عطفته أى أمالته نحوك . والشؤبوب الدفعة من المطر ، وقد شبه به الدمع لغزارته .

(٤) صله أى أعد وصله والقرب منه ولا تقطع مودته . والرمق بقية الحياة .

أَلزمتُ نفسى الصبرَ فيك تأَسِّياً ... والصبرُ أَصعَبُ ما يُقَاد نَجيبه[١]

وبليتُ فيك بكلِّ لاحٍ لو تَبدَّ ... ى نحو طَوْدٍ أَثقلتْه كُروبُهُ[٢]

أَفَلاَ رَثَيتَ لعاشقٍ لعبتْ به ... أَيدى المنوى ونازعته خُطوبُه ![٣]

أَنت النعيم له ومن عجب تعَذِّ ... به ، وتُمرضُه ، وأَنت طبيبه !

إلى متى

ولحسن العطار هذه الأبيات الغزلية التى أودعها أيضاً رسالة عاشق إلى معشوق ، ونشرها فى كتابه (الإنشاء) :

إلى متى تشكو ولم تَرْثِ لى ... أَما كفى أَن رقَّ لى عُذَّلى[٤] ؟

يا باخلاً بالوصل عن عاشق ... بعسجَد الأَجفان لم يَبْخل[٥] !

أَنفقَ فى حَرِّ الهوى عمره ... وَعَن أَمانيه فلاَ تسأَلِ !

لم يَبقَ فى الصَّبِّ سوَى مهجةٍ ... أَمْست لنيران الهوى تَصطلى[٦]

ومقلةٍ تَرعَى نجومَ الدُّجى ... شقيقك الزاهر عنها سلى[٧] !

تَبيتُ تبكى شَجْوَها كلَّما ... هاجَ بذكراكَ فؤادٌ بلى

---

(١) التأسى هو التسلى بالصبر .

(٢) بليت فيك أى أصبت فى حبى إياك . واللاحى هو اللائم على الشىء . والطود الجبل العظيم أى أصبت فى حبى لك بكل عذول لائم ثقيل كالجبل . . .

(٣) المنون الموت .

(٤) ترثى لى أى تبكى وتشفق على . والعذل جمع عاذل وهو اللائم فى الحب .

(٥) العسجد الذهب ، وعسجد الأجفان كناية عن الدمع .

(٦) الصب هو العاشق ذو الولع الشديد ، والمهجة القلب .

(٧) المقلة العين . وترعى أى تنظر ، والدجى الظلام . وشقيق المحبوب الزاهر هو القمر ، فكأنه شبه بالبدر . وسلى فعل أمر بمعنى اسأل .

ما أطْوَلَ اللَّيلَ على عاشقٍ فَارقَ محبوباً عليه ولى
كأنما الصبح اتَّقى سَطْوَةً من كافرِ الليل فلم يَنْجلى (١)

سلطان الهوى

وحين عاد إبراهيم « باشا » منتصراً من حروبه فى الشام مدحه الشاعر بقصيدة ، استهلها بالغزل التقليدى على طريقة قدامى الشعراء ، ثم تخلص من الغزل إلى المدح بعد ذلك . وفيها يقول :

سمهرىٌّ ينثنى أم غُصنُ بانْ أم قَوامٌ دونه صَبْرِىَ بانْ ؟ (٢)
صان بالعسَّال معسولَ اللَّمَى وتهادَى هادماً ما أنا بانْ (٣)
يا مليكَ الحسن رِفقاً بِشَجٍ كلما حَاول كَتْمَ الشَّجوِ بانْ (٤)
مَرَج البحرين فيضاً دمْعُه إذ رأى جفنيه لا يلتقيان (٥)
جَاءَ ، لما جارَ سلطانُ الهوى طالباً من عادل القدِّ الأمان (٦)
رُبَّ ساقٍ ، وهو قاسٍ قلبُه عِطفُه منذ أدار الكأس لان (٧)

---

(١) اتقى أى خاف ، والسطوة هى الصولة والاعتداء . والليل الكافر هو الذى يستر كل شىء ، لأن الكفر أصل معناها الستر والحجب . ومعنى البيت أن الصباح كأنه خشى اعتداء وصولة من الليل الكافر فلم يطلع . . .

(٢) السمهرى الرمح الصلب ويشبه به المحبوب . وغصن البان هو غصن شجر يشبه به القوام الدقيق المرتفع . وبان الصبر أى بعد وراح .

(٣) العسال الرمح . واللمى سمرة فى الشفة مستحسنة . وما أنا بان أى ما أنا بانيه .

(٤) الشجى هو الشخص الحزين . والشجو الحزن . وبان فى هذا البيت بمعنى ظهر .

(٥) مرج البحرين أى خلط ماءهما .

(٦) القد القوام ، وعادل القد هو الحبيب الذى يتغزل فيه .

(٧) عطف الرجل : جانبه . ولان عطفه كناية عن الرقة والاستجابة . ولاحظ البديع هنا ، فإن لفظة (ساق) حين تقلبها تكون (قاس) .

أهيفٌ إن ماس تِيها وَرَنا رُحْتُ منه بَيْن سيفٍ وسنان[١]
كَسَرَ القلبَ ، وما كان التقى فيه ، من حينِ هواهُ ، ساكنان[٢]

أنا راضٍ

وللعطار بيتان فى الغزل يعلن فيهما عن نزوله على حكم الحبيب ورضاه منه بكل ما يرضاه ، وهما :

أنا راضٍ منك ياكلَّ المُنى بالذى تَهْوَى على حُكم الغرام
لستُ أبغى من زمانى حاجةً غيرَ أنْ تحيا سعيداً ، والسلام

ب ــ الوصف :

بركة الأزبكية

كانت الأزبكية فى عهد حسن العطار قبيل مجيء الفرنسيين إلى مصر مسكن الأمراء ، وموطن الكبراء ، وحى الرؤساء . تملؤها القصور الشاهقة ، وتحيط بها البساتين الوارفة الظلال . وقد وصفها الشاعر بهذه الأبيات : ــ

بالأزبكيَّة طابتْ لى مَسَرَّات وَلَذَّ لى من بديع العَيش أوقاتُ
حيثُ المياه بها والفُلْكُ سابحةٌ كأنَّها الزُّهر تحويها السمواتُ[٣]

---

(١) الأهيف الرقيق الخصر . وماس أى تمايل ، وتيها أى عجباً واختيالا . ورنا أى نظر ، والسيف هنا كناية عن جفون المحبوب ، والسنان كناية عن قوامه الذى يشبه الرمح .

(٢) لاحظ البديع فى هذا البيت ، فكلمة ساكنان لها معنى قريب وهو المعنى المعروف فى النحو . ومعنى بعيد ، وهو الساكن بمعنى المقيم فى القلب .

(٣) الفلك السفن وكل ما يمخر البحر ، وهو جمع لا واحد له من لفظه ، والزهر جمع أزهر ، وهو النجم اللامع .

مدَّتْ عليها الروابى خُضْرَ سُندسها ... وغرَّدتْ فى نواحيها حَمَامات! (١)

والماءُ حينَ سرى رَطْبُ النَّسيم به ... وَحلَّ فيه من الأَدوح زَهرات (٢)

كسابغات دروعٍ فوقَها نُقَطٌ ... من فضة ،واحمرارا ورد طَعنات (٣)

وللنَّديم بها عَيشٌ تُساعِدُهُ ... على اغتنام دواعيه المسرَّات (٤)

يَروح منها صَريعَ العقلِ حين يرى ... على محاسنها دارتْ زُجاجات (٥)

وللرفاق بها جَمْعٌ ومفترقٌ ... لمَّا غَدَتْ وهى للندمان حانات (٦)

سقياً لأسيوط

لما فر العطار من القاهرة إلى الصعيد نجاة بنفسه من أذى الفرنسيين المعتدين ، نزل بمدينة أسيوط ، فأحبها ، ووصفها نثراً وشعراً . ومن شعره المرتجل فيها هذان البيتان :

سَقْياً لأَسيوطَ ذات الظل والشجرِ ... وَمَربعِ اللَّهو واللذات والزهَرِ (٧)

منازلٌ بصنوف العَيشِ عامرةٌ ... يلهو النديم بها فى مشتهَى الوَطَرِ (٨)

---

(١) الروابى جمع رابية وهى الأرض المرتفعة ، والسندس وشى أخضر يشبه به النبات والعشب الأخضر على وجه الأرض .

(٢) الأدواح الشجر العظيم جمع دوحة .

(٣) الدروع السابغة هى الدروع الواسعة المفاضة . ولقد شبه الشاعر هنا تموج الماء فى بركة الأزبكية بالتموجات التى على سطح الدروع ، وشبه أوراق الورد الحمراء المتناثرة على وجه البركة بالطعنات فى الصدور التى تقيها الدروع . . .

(٤) اغتنام المسرات ، انتهاز أوقات السرور .

(٥) صريع العقل أى مسلوب العقل .

(٦) الرفاق جمع رفيق وهم الصحاب . والندمان جماعات الشاربين. والحانات جمع حانة وهى ما يقدم فيها الشراب ويجتمع الشاربون .

(٧) سقيا لأسيوط . يدعو الشاعر هنا لأسيوط أن يسقيها الله بالمطر .

(٨) الوطر هو ما يطلبه الإنسان من رغبات .

عرائس دمشق

نزل العطار بدمشق بعد جولته فى تركيا وألبانيا ، وقد نظم فى وصفها هذه الأبيات التالية الطائية . وقد اختار لها هذه القافية الصعبة الغليظة لأنه عارض بها قصيدة فى الغرض نفسه للشيخ محمد المسيرى الذى قدمها من بيروت فوصفها ولكن أبياته لم تقع من الأدباء موقع القبول ، فأراد العطار أن يعارضها بأبياته الآتية :

بوادى دمشقَ الشامِ جُزْ بى أخا البَسْط ... وعَرِّج على باب السَّلام ولا تُخطى (١)
ولا تَبكِ ما يَبكى امرؤُ القيسِ حَوْملاً ... ولا منزلا أودى بمنعرج السِّقط. (٢)
فإنَّ على باب السلام من الْبَهَا ... ملابسَ حسنٍ قد حفظْنَ من العطِّ. (٣)
هنالكَ تَلْقَى ما يَروقُك مَنْظرا ... ويُسْلى من الأَخْدان والصحب والرَّهط. (٤)
عرائس أشجار إذا الريح هزَّها ... تميل سكارَى وهى تَخْطرُ فى مرط (٥)
كساها الحيا أثواب خِطْرٍ فُدثِّرتْ ... بنور شُعاع الشَّمس والزهر كالقُرط (٦)

---

(١) عرج أى مل نحو باب السلام وهو من أبواب دمشق القديمة . لا تخطى أى لا تخطئ إصابة غرضك .

(٢) حومل والسقط مكانان وقف عليهما الشاعر الجاهلى امرؤ القيس وبكى أطلالها بعد رحيل أحبابه عنها فى قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٣) العط هو شق الثياب أو تشققها .

(٤) الأخدان جمع خدن وهو الصاحب . والرهط الجماعة من الناس أو الجماعة من قوم الرجل وأهله .

(٥) تخطر أى تميل ، والمرط الثوب غير المخيط .

(٦) الحيا المطر والخطر الغصن من الشجر . ودثرت أى تلفعت بدثار . والقرط ما يوضع فى الأذن لتتحلى به المرأة (الحلق) .

جـ ــ الرثاء :

دمعة على عالم

كان الشيخ محمد عرفة الدسوقى المالكى أستاذاً للشيخ حسن العطار فى الأزهر ، وكان من كبار المحققين والمؤلفين فى وقته . فلما مات سنة ١٢٣٠ هـ سنة ١٨١٥ م رثاه تلميذه الوفى بالقصيدة التى نذكر منها الأبيات التالية :

أحاديثُ دَهر قد ألمَّ فأَوجَعا وحَلَّ بنادى جمعنا فتصدَّعا[١]
لقدصَالَ فينا البَين أعظمَ صولةٍ فلم يُخْلِ من وقْعِ المصيبة موضعاً[٢]
وجاءت خطوبُ الدهر تَتْرَى فكلما مضى حادثٌ يعقبه آخر مسرعا[٣]
وحلَّ بنا ما لم نكن فى حسابه من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا
خطوب زمانٍ لو تمادَى أقلُّها بشامخ رَضْوى أوثبير تَضعضعا[٤]
وأصبحَ شأنُ الناسِ ما بين عائدٍ مريضاً ، وثانٍ للحبيب مشيِّعا
لقد كانَ روضُ العَيش بالأَمن يانعاً فأَضحى هَشيماً ظلُّه متقشِّعاً
أيحسُنُ أن لا يَبذُلَ الشخصُ مهجةً ويبكى دماً إن أَفْنَت العين أدمُعا؟[٥]
وقد سارَ بالأَحبابِ فى حينِ غفلةٍ سريرُ[٥] المنايا عاجلاً متسرعا
وفى كلِّ يوم روعةٌ بَعد روعةٍ فلله ما قَاسَى الفؤاد ورُوِّعا[٦]

---

(١) ألم أى نزل . تصدع الجمع أى تكسر وتفرق .
(٢) البين الفراق . لم يخل أى لم يترك .
(٣) تترى أى جاءت متتابعة . وتستعمل هذه اللفظة حالا — أى أنها اسم — ومن الخطأ استعمالها فعلا . فلا يقال : تترى الحوادث ، أى تتوالى . بل يقال : جاءت الحوادث تترى .
(٤) رضوى اسم جبل بالحجاز وثبير كذلك اسم جبل ببلاد العرب على يمين الذاهب إلى عرفات .
(٥) سرير المنايا أى سرير الموت وهو النعش الذى يوضع فيه الميت ويسار به إلى قبره .
(٦) الروعة المصيبة التى تروع .

عزاءً بنى الدنيا بفقد أئمةٍ ... لكأسِ مرير الموت كلٌّ تجرَّعا
يميناً لقد جلَّ المصاب بشيخنا الد ... سوقى وعا د القلب بالهمِّ مُتْرَعا [١]
وشابت قلوبٌ ، لا مَفارقُ ، عندما ... تنكرَّت الأسماع صوت الذى نَعَى [٢]
فللناس عُذرٌ فى البكاءِ وللأسَى ... عليه ، وأمَّا فى السواءِ فتجزعا
تواضَعَ للطلاَّب فانتفعوا به ... على أنَّه بالحلم زادَ ترفُّعا [٣]
وكان حليماً واسعَ الصَّدر ماجِدًا ... تقيًّا ، نقيًّا ، زاهدًا متورِّعا
سعى فى اكتساب الحمد طولَ حياته ... ولم نَرَه فى غير ذلك قد سَعى
ولم تُلهِهِ الدنيا بزُخْرف صُورة ... عن العلم كَيما أن تَغُرَّ وتَخْدَعا [٤]
لقد صَرفَ الأوقاتَ فى العلم والتُّقى ... فما إنْ لها يا صَاح أمسى مضيِّعا
فقَدناه ، لكنْ نفعه ـ الدهرَ ـ دائمٌ ... وما مات مَن أبقى علوماً لمن وَعَى
فجُوزِىَ بالحسنى ، وتُوِّجَ بالرِّضى ... وقُوبل بالإكرام ممنَّ له دَعا

د ـ المدح :

بشراك بالمنصب

كان الشيخ عبد الرحمن السفاقسى الضرير شيخاً لرواق المغاربة بالأزهر ،

---

(١) جل المصاب أى عظم ، والقلب المترع هو المملوء بالهموم .

(٢) القلوب لا المفارق التى شابت من هول المصاب وشدة وقع النعى الذى أنكرته المسامع غير مصدقة له .

(٣) يشير العطار فى هذا البيت إلى قول الشاعر العربى :

دنوت تواضعا ، وعلوت مجدا ... فشأناك انحدار وارتفاع

(٤) لم تصرفه الدنيا بزخارفها الكاذبة عن العلم وطلبه .

فلما عزل تولى بعده الشيخ شامل الطرابلسى . وكان العطار يميل إليه ويصادقه . فامتدحه بقصيدة يقول فيها :

انهضْ فقد ولَّت جيوشُ الظلام ... وأَقْبلَ الصبح سَفيرَ اللِّثام (١)
وغنَّت الوُرقُ على أَيْكها ... تُنبِّه الشّرب لشُربِ المدام (٢)
والزَّهر أَضحى فى الرُّبى باسما ... لما بكتْ بالطلِّ عَين الغَمام (٣)
والغُصنُ قد ماسَ بأَزهاره ... لما غدت كالدرِّ فى الانتظام (٤)
وعَطَّرَ الرَّوضَ مرور الصَّبَا ... على الرياحِين فَأَبْرا السّقام (٥)
كأَنما الوردُ على غُصنهِ ... تيجانُ إبريز على حُسْن هام
كأَنما الغدرانُ خُلجانُ أَغْ ... صانِ النَّقا ، والنهرُ مثلُ الحُسام (٦)
بُشراكَ مولانا على منْصِبٍ ... كان له فيكَ مَزيدُ الهُيام (٧)
فقد رأَيْنَا منكَ ما نَرْتجى ... لا زلتَ فينا سالماً . والسلام

---

(١) ذكر صاحب كتاب « مصر فى القرن الثامن عشر أن هذه القصيدة قالها العطار فى مدح صديقه الشيخ أبى القاسم المغربى شيخ رواق المغاربة . وقد رجع فى هذا إلى كتاب « مظهر التقديس » وعبارته مضطربة فى هذا الحادث . والصواب ما ذكرناه من أنها فى مدح الشيخ شامل الطرابلسى نقلا عن الجبرتى ج ٥ ص ١٤٦ طبعة لجنة البيان العربى .

(٢) الورق بضم الواو جمع ورقاء ، وهى الحمامة . والشرب بفتح الشين المشددة : جماعة الشاربين . والشرب بضمها مصدر من الفعل : شرب .

(٣) الربى جمع ربوة وهى المرتفع من الأرض ، الطل المطر الخفيف . الغمام السحاب المملوء بالمطر وفى هذا البيت استعارة أى أن الأرض ضحكت بالزهر حين بكت السماء بالمطر .

(٤) ماس : مال .

(٥) الصبا ريح شرقية لطيفة فى بلاد العرب ، وهى فى الحق نسيم لا ريح . أبرا أصلها أبرأ أى شفى المرضى .

(٦) الغدران جمع غدير . والنقا القطعة من الرمل المحدودبة ، والحسام السيف .

(٧) الهيام شدة الكلف بالشىء . يريد الشاعر أن المنصب نفسه كان مشتاقاً إلى أن يناله الممدوح .

هـ ــ التهنئة :

فخر المرء بأفعاله

كان بعض المشايخ من أصدقاء العطار نقيباً لأشراف القدس ، ولكنه أبعد عن النقابة ، ثم عاد إليها مرة أخرى ؛ فنظم العطار قصيدة يهنئه منها هذه الأبيات :

الحمد لله على فَضْلِه ... قد رَجَع الحق إلى أَهله[1]
وآضَ روضُ الفضل ذا بهجة ... من بعد ما أَشفقَ من مَحْلِه[2]
قد يطْلبُ الحسناءَ من لم يكن ... كفْؤًا لها ، للحمقِ فى عقله
قد يتساوَى اثنانِ فى منصبٍ ... وإنما التفريق فى سُبْلِه[3]
ومَفْخَر المرءِ بأَفعاله ... لا بالذى قد ماتَ من أَهله
وقد يسُودُ الشخص آباءُ ... ويشرفُ الفرعُ على أَصله[4]
وقد نَرى فَرعَينِ من دوحة ... تَخالَفا فى الحكم مع شكله
فالخلُّ والخمر عصيرٌ ، وقد ... باين هذا ذاك فى فِعله

---

(١) رجع الحق إلى أصحابه بعودة المهنأ إلى محله .
(٢) آض : صار ، والمحل جدب الأرض .
(٣) الفرق بين اثنين توليا منصباً واحداً هو فى طريق كل منهما فى عمله .
(٤) يسود : يتفوق ويزيد فى السيادة . ويشرف أى يكون ذا شرف أكثر .

و — الهجاء :

ثلاثة فى واحد

هجا العطار شخصاً بأنه اجتمع فيه البخل ، والجهل مع التعالم ، والحسد مع التودد ، فقال :

إنى لأكره فى الزمانِ ثلاثةً ما إنْ لها فى عَدِّها من زائد
قُربَ البخيلِ ، وجاهلاً متفاضلا لا يستحِى ، وتودُّدًا من حاسد
ومنَ البلية والرزيَّة أن ترَى هذى الثلاثة جُمِّعتْ فى واحد

جنود الحملة الفرنسية

لاحظ العطار أن جنود الحملة الفرنسية كانوا يركبون الحمير ويجهدونها فى المشى والإسراع ، وهم يصيحون ويعربدون فى أخطاط القاهرة ، ويشاركهم المكارية — الحمارون — فى ذلك ، كما أنهم كانوا كثيرى التردد على الحانات التى أقيمت خصيصاً لهم ، فقال فى ذلك يهجوهم ويتمنى هلاكهم فى حملة الشام :

إن الفرنسيسَ قد ضاعَتْ دراهِمُهُم فى مصرِنا بَينَ حمَّار وَخَمار
وعن قريبٍ لهم فى الشامِ مَهْلكةٌ يَضيع فيها لهم آجالُ أعمارِ[1]

---

(١) المهلكة الهلاك والموت . وهنا يتمنى لهم الشاعر الموت فى حملتهم على الشام .

ز ــ الموشحات :

قطاف الكروم

كان العطار معجباً بشعر أهل الأندلس وموشحاتهم . وكان يرى فيها ما يوجب السرور للنفس . وقد عارض إحدى الموشحات الأندلسية التى مطلعها :

فى رنّة العود والسُّلافه والروض والنهر لى نَديم

بقوله ، وقد سجله فى حاشيته على التهذيب فى المنطق :

فى الروضِ والنَّهر والسُّلافه يديرهَا الشَّادِنُ الرَّخيم[١]
بين ندامى حَوَوْا لَطَافَه قد طاب والله لى النعيم[٢]
يا لائماً لى على التَّصابى ولستُ أَصْبو إلى ملام
أما تَرى سندسَ الروابى كلَّلهُ لؤلؤُ الغَمام[٣] ؟
والشمس وافتْكَ فى نقابِ ضمَّخهُ عنبر الظلام[٤]
والكرْمُ أبدى لنا قِطافَهْ كأنها لُؤلؤ نَظيم[٥]
والنهر قد أحسن انعطَافه مثلَ سوار بكفِّ ريم[٦]

---

(١) السلافة والسلاف بضم السين ما سال وتحلب من الخمر قبل عصرها ، الشادن ولد الغزال ويشبه به الذى يدير الخمر على الشاربين ، والرخيم الرقيق الصوت .

(٢) الندامى جمع ندمان وهو المرافق على الشراب .

(٣) سندس الروابى أى الخضرة التى تكلل سطوح الأرض المرتفعة . كلله أى جعل له إكليلا . ولؤلؤ الغمام هو ماء المطر الشبيه بحبات اللآلى .

(٤) النقاب ما يوضع على الوجه ليغطيه كالحجاب . ضمخه أى عطره بالطيب . وعنبر الظلام ، هو سواد الليل ، شبهه بالعنبر فى سواده .

(٥) الكرم شجرة العنب ، واللؤلؤ النظيم أى المنظوم .

(٦) السوار ما يلبس فى المعصم ، والريم ولد الظبى .

نسمة الشمال

وهذه هى موشحة أخرى لحسن العطار على طوبقة الأندلسيين . وهما مما دوّنه الرجل فى كتابه « حاشية على شرح التهذيب فى المنطق » للخبيصى :

صاح ! تنبَّه من النُّعاس فكوكَب الصُّبح قَدْ أَنَارْ
وانهضْ إلى روضةٍ وكاس وشادنٍ خالى العذار[١]

* * *

أما تَرى المُزنَ باللآلى قد قَلَّدَ الغُصن[٢] بالعقود؟
فماسَ فى الروض باختيالِ يُهيِّم الصبَّ[٣] للقدود !
تهزُّهُ نَسمةُ الشَّمالِ فيعبق الرَّوضُ بالورود[٤]

* * *

يَزهو بوَشْى من اللباسِ ما بَين وردٍ وجُلَّنار[٥]
وللشقائق طرازُ آسِ ذكَّرنى الخَدَّ والعذار[٦]

---

(١) العذار جانب اللحية أو الخد .

(٢) المزن جمع مزنة وهى السحابة . وقد شبه حبات المطر بحبات العقد .

(٣) يهيم الصب : بالتشديد : أى يجعله يهيم و يفتن . والصب المحب المولع ، والقدود جمع قد ، وهو القوام .

(٤) يعبق أى تنتشر رائحته .

(٥) الوشى ما يوشى الثياب و يحليها و يزركشها ، والجلنار نوع من الورود وهى فارسية الأصل .

(٦) الشقائق نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء . والآس نوع من نبات الريحان العطرى الرائحة .

ح – الشعر التعليمى :

علوم العربية

كان حسن العطار ينظم النوع من الشعر المسمى بالتعليمى – كشعر ألفية ابن مالك فى النحو – والقصد منه تسهيل حفظ القواعد . فمن شعره التعليمى – ومن المجاز أن يسمى هذا شعراً – قوله فى عد علوم العربية فى نظره :

نحو ،وصرف ، عروض، بعده لغة ثم اشتقاق ،وقرض الشعر، إنشاء
كذا المعانى، بيان، الخط ،قافية تاريخ هذا لعلم العُرب إحصاء

أنواع المعارف

الاسم المعرفة فى علم النحو ضد النكرة ، والمعارف سبعة أنواع جمعها حسن العطار فى بيت واحد مشهور كان يحفظه تلاميذ المدارس حصراً لأنواع المعارف ، وهى : الضمير ، والعلم ، واسم الإشارة ، واسم الموصول ، والمحلى بأل ، والمضاف ، والمنادى . والبيت هو :

إن المعارف سبعة فيها سهل أنا ،صالح ،ذا ،ما ،الفتى ،ابنى ،يارجل

٢ ـ حسن العطار الناثر

ا ـ الوصف :

وصف دمشق

سبق أن وصف العطار دمشق شعراً ، وهنا وصفها نثراً يقول فيه :

أما دمشق الشام ، فهى غرّة[١] البلاد ، وبُغية المرتاد[٢] ، وهى فى الدنيا جنة ، وساكنها له من الهم وقاية وجُنة[٣] . ذات سرور وحبور ، وقصور وبهور ، ورياض وحياض ، وفاكهة ذات ألوان ، ووجوه حسان . هى أعلى متنزهات الدنيا الأربع ، يطيب بها العيش لمن فى ربوتها يترتع ، ويتسلك لكل روض فيها للقطف مهيع[٤] . فيرى أحسنَ مرأى ويسمعُ أشهى مسمع .

وقيل له أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيتٌ صالحٌ ومقيل[٥]

عند ذلك يتفرّغ باله ، وتنفسح آماله ، ويطيبُ باجتلاء النّهانى ، واقتبال الأمانى بكورُه وآصاله ، وتتراءى له تلك القصور ، التى عليها الحُسن مقصور ، والمنازلُ الفسيحة ، والمنازهُ المليحة ، والأراضى السندسيّة ، والمناهلُ الفضية ، والرياضُ المونقة[٦] ، والجنانُ المحْدقة ، والثمارُ الباسقة ، والأزهارُ المتناسقة ، والغُدرانُ المتدفقة ، والوجوهُ المشرقة .

تلك المنازل والمَلاَ عبُ لا أراها الله مَحْلا[٧]

---

(١) غرة الشىء جبهته وأشرف شىء فيه .

(٢) المرتاد . الشخص الذى يرتاد البلاد ويجوبها .

(٣) الجنة بضم الجيم — الوقاية .

(٤) المهيع الطريق والدرب الذى يسير فيه المرء .

(٥) المقيل اسم مكان من قال بالمكان أى نام فيه بالقائلة أى منتصف النهار .

(٦) المونقة : المعجبة . وهى اسم فاعل من الفعل : آنق بمعنى أعجب .

(٧) المحل بسكون الحاء هو جدب الأرض ، وهنا يدعو لها الشاعر بالخصب .

حيثُ التفتَّ وجدتَ ما ... ءً سابحاً ، وسكنتَ ظلا

فالمتردد فى تلك السُّوح [١] ، التى نسيمها بعطر شذاها [٢] يفوح ، يطيبُ صَبوحه وغبوقه [٣] ، ويُحمدُ غروبه وشروقهُ ، ويَرى عنوان الجنان ، فى هذا المكان ، من حورٍ وولدان [٤] ، وجواهرَ وعقيان [٥] ، وأوقات كلها أسحار [٦] ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار .

متنزهات القسطنطينية

وحين حل الشيخ حسن العطار ببلاد الروم — تركيا — نزل بعاصمتها القسطنطينية ، فأعجبته متنزهاتها وخلجانها وقصورها ومعاهدها ، فكتب هذه الرسالة يصفها :

كتب إلى السيد الجليل أدام الله إشراقه ، وعطر بالثناء أخلاقه ، وأنا بالطرف الذى هو فى عقد محاسن الدنيا الواسطة ، ومفاخره فى سماء المعالى متصاعدة لا هابطة . ونعم هو منزلاً فى مطالع السرور عالى ، وقدرُه فى المتنزهات غالى ، وبَدْر إشراقه بالسعود متلالى ، وبه الغريبُ لأوطانه سالى [٧] . وقد أطل على الخليج القسطنطينى المحتف بعرائس القصور ، والرياض المعطرة بروائح الزهور ، وملاعب الولدان والحُور ، ومجتنى ضروب اللذات والسرور ، والساحب أذيال

---

(١) السوح جمع ساحة وهى المكان الواسع .

(٢) الشذى الريح الطيب وأرج العطر .

(٣) الصبوح كل ما يؤكل أو يشرب صباحاً ، والغبوق بفتح الغين ما يؤكل أو يشرب على المساء أو فى العشى .

(٤) الحور جمع حوراء وهى الفتاة الحسنة أو التى اشتد سواد عينيها وبياضهما .

(٥) العقيان بكسر العين : الذهب الخالص .

(٦) أسحار جمع سحر بفتحتين وهو ما قبل طلوع الفجر .

(٧) سلا الرجل أوطانه أى تسلى على بعدها بالصبر عنها .

الحبر والحبور [١] ، حيثُ الفلكُ ببدور الحسن فى ذلك الخليج سابحة ، غاديةٌ فى ضروب المسرات رائحة ، والزوارق على وجه الماء ، تنساب كالحية الرقطاء [٢] ، تتلاعب بها أمواجه ، ويزيد بها للناظر سروره وابتهاجه . وقد طلع بها شموس وبدور ، وأربت على الأفلاك [٣] حيثُ فى كل فلكٍ كوكب ، وهذه على عدة كواكب تدور . وقد أحاط بذلك الخليج تلك المنتزهات [٣] ، والمعاهدُ العامرة باللذات ، والبدورُ التى هى عن الحسن مسفرة ، والوُجوهُ التى هى بالنعيم مستبشرة .

يُطلُّ من كلِّ دار حوله قَمرٌ ... وليس فى الأُفْقِ يا هذا سوى قمر
والماءُ مثْل السما لوناً وباطنُه ... يشف عن نيِّرات الأنجم الزُّهر

والشط يرفلُ فى ملابسَ سندسيات ، ويهدى إلينا نوافحَ مسك عاطرات ، ويزهو من بهجته بأحسن منظر ، ويتيهُ بجلباب من السندس الأخضر . والأنهار تتخلله ، والأشجارُ تظلله .

سَقياً لها سِن بطاحٍ خزٍّ [٤] ... ودوح روضٍ بها مُطلٍّ
فما ترى غيرَ وجه شمسٍ ... يلوح فيها عذار ظلٍّ [٥]

والنسيمُ بُقامات الغصون يعربد ، ولصفحة وجه النهر يجعد ، وقيانُ [٦] الطيور على منابر الدوح تغرد ، والنديمُ يشدو ويُنشد . . .

---

(١) الحبر بكسر الحاء وفتح الباء جمع حبرة وهى نوع من الثياب التى كانت تصنع باليمن . والحبور السرور .

(٢) الحية الرقطاء هى السوداء المشوبة بنقط بيضاء .

(٣) يستعمل العطار كلمة منتزه بتقديم النون على التاء ، والأصح متنزه بتقديم التاء على النون ، وهو المكان الذى يتنزه فيه الإنسان .

(٤) الخز الحرير ، وقد شبه بقاع الأرض بالخز الناعم .

(٥) العذار الخد ، أو جانب الوجه ، وشبه الظل بالشعر النابت فى العذار .

(٦) القيان الطيور المغنية . وأصل القينة فى اللغة : الجارية أو المغنية .

ب ـ الرسائل الأخوانية :

فى الشوق إلى صديق

كتب حسن العطار هذه الرسالة فى الشوق إلى أحد الإخوان . وهى نموذج من رسائله الإخوانية :

العهد يا سيدى بعيد ، والشوقُ شديد ، وسبلى إلى زيارتك غيرُ مُسْتَسْهَلَة ، وعادةُ تفضُّلك فى المراعاة متعطِّلة ، وأنت على صلتى بعائد[١] موصولك أقْدرَ ، وأحق برعايتى وأجدر . ولم أقلْ هذا شكوى لك بل شكوى إليك . وكيف أشكو من لا أخلوله من مَبرَّة أشكرُها[٢] ، ومِنَّة أتحملها ، ويد أحفظها وأعتدُّ بها . وبالله لو تلازَمنا على المداومة ، وتلاقينا على المواظبة . لما نقع ذلك[٣] غلة ظمأى إليك ، ولا عدمتُ نزوات[٤] الحنين عليك . فكيف[٥] والشقة بيننا معترضة ، والأعمارُ دُونَ اجتماع الشمل منقرضة ؟ والله يطيلُ مدة عمرك ، ويمدُّ أيام عزك ، ويقربُ دارك ، ويُدنى مزارك ، ويحرُسُ النعمة عندك ، ويُديمُ سعدك ، ويريني إياك على ما أحبُّه لك وتحبه لى ، من سكون الجاش[٦] ، ورغد المعاش ، وصلاح الحال ، ورفاه البال بقدرته آمين .

---

(١) لاحظ هنا استعمال العطار لمصطلحات العلوم فى نثره . فالصلة ، والعائد ، والموصول هى من مصطلحات علم النحو كما لا يخفى .

(٢) المنة : المعروف أو الصنيعة .

(٣) نقع ـ بالقاف ـ الماء غلة العطشان أى سكن ظمأه .

(٤) النزوات : جمع نزوة وهى الصولة ، والوثبة .

(٥) الشقة : بضم القاف المسافة .

(٦) الجأش : النفس أو القلب أو الصدر . وأصلها الجأش بالهمزة ، ولكنه سهلها إلى ألف مراعاة للسجعة فى كلمة : المعاش . ويقال : فلان ساكن الجأش أى هادئ النفس لا يضطرب .

أمل فى اللقاء

وكتب رسالة أخرى إلى صاحب يأمل فى لقائه ، بعد افتراق :

أخى الذى انتثر عقد نظامى معه ، وصاح غراب البين[١] على مجمع شملنا فصدعه . قد كنت أظن أن الأيام لا تزال لنا باسمة ، ورياح المسرات بنادى جمعنا ناسمة ، فإذا أنا مكلف الأيام ضد طباعها[٢] ، ومتشبث منها بخلاف أوضاعها . ومع ذلك فأنا لا آيسُ من اجتماع بعد فرقة ، ومسرة تحصُلُ وإن طالت المشقة ، وبعدت الشقة ، وتأججت الحُرقة .

وقد يجمع الله الشتيتين[٣] بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فالحمد لله على آلائه ، والشكرُ له على قضائه ، وعسى تعودُ هذه الأيامُ التى جرت إليها سوابقُ الأمانى مُطلَقات الأعنة[٤] ، وأبرزت الأقدارُ فيها من الآمال ما كان ساكناً كالأجنة . حقق الله ذلك المرجو والمأمول ، وأنْعَم بذلك المتمنّى والمسئول . ونسأل الله تعالى أن تكون شمسها دائماً مشرقة الأنوار ، وأن تكون هذه الجملة للدوام والاستمرار .

---

(١) البين الفراق ، وصاح غراب البين بين القوم ، كناية عن تفرقهم ، فقد كان العرب يعتقدون أن صيحة الغراب نذير بالافتراق . وفى هذا يقول الشاعر النابغة الجاهلى :

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

(٢) مكلف الأيام ضد طباعها ، أى مكلفها ما ليس من طباعها من الغدر والتقلب بأحوال الناس ، وفى هذا يقول الشاعر :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

(٣) الشتيتين : مثنى شتيت وهو البعيد المتفرق .

(٤) الأعنة جمع عنان وهو لجام الفرس ، ومطلقات الأعنة أى أحرار منطلقات بلا قيد .

جـ – تقريظ الكتب :

ترجمة الألفية إلى التركية

ألفية ابن مالك فى النحو مشهورة ، وقد ترجمها إلى اللغة التركية فى عصر حسن العطار أديب كاتب تركى اسمه خيرت أفندى . فكتب العطار هذا التقريظ التالى لها :

أهذه حديقةُ زَهر ، أم قلادة[١] نحر ، أم سماءُ فضل أزهرتْ بها نجومُ التحقيق ، وأشرقت شموسُ التدقيق . استنار بها مُبهم السالك ، فى أحسن المسالك ، إلى ألفية ابن مالك . فبرزَتْ بها تلك الخريدةُ[٢] العربية فى ملابس الروم[٣] ، وجُليتْ تلك العروسُ على منصتها لكل خاطب لها يروم[٤] . أبدعَ ناظمُها وأحْسن ، وأحكم وأتقن . كيف لا وهو دوحةُ فضل أينعتْ بالزهر ، وتقلدت أغصانها من سُحب العرفان بقلائد الدُّرر . ربٌّ فصاحة وبراعة ، وقريحة لنظم القريض سلسة مطواعة . وهو فى الألسن الثلاث سبّاق غايات ، وصاحبُ آيات بينات ، ودراية راسخة ، آيةُ فضْلها لما تقدمها ناسخة . كاتب حاسب . ببراعة تستنتجح المطالب ، وتستمطرُ الرغائب ، وتخلّد للأوَل مآثر ، وتنظمُ فى جيد الزمان قلائد جواهر ، فمعانيه قرة عقل تأرّج[٥] زهرُها ، وسماءُ فضل أشرقَ بدرُها . نظم بها فى جيد البلاغة عقودا ، ووشّى من الطُّروس برودا[٦] ، فهو حسنةُ الدهر ، وزينةُ العصر ، تتجمل به الأيام ، وتفتخر به

---

(١) القلادة : ما يحيط بالعنق من عقد وغيره ، والنحر : أعلى الصدر .

(٢) الخريدة : هى الفتاة البكر الحسناء التى يجملها الحياء .

(٣) برزت الألفية فى ملابس الروم أى ترجمت إلى التركية فظهرت فى ثوب تركى . والروم هم الأتراك كما كانوا يسمون فى كتب التاريخ منذ ظهور دولتهم . وحسن العطار حين سافر إلى بلاد الروم أى إلى بلاد تركية .

(٤) يروم أى يريد ويقصد . ومنصة العروس هى الدكة العالية التى تنص عليها ليلة عرسها .

(٥) تأرج زهرها أى فاح أرجه وعطره .

(٦) الطروس جمع طرس وهو الصحيفة يكتب فيها ، والبرود – بضم الباء – جمع برد وهو نوع من الثياب المخططة .

الأنام . وإنى وإن أُجرَيتْ فى ميدان الصحف سوابقُ الأقلام ، ونُشرتْ من مطويات محاسنه فى أندية الثناء رايات وأعلام ، لمعترفٌ بالقصور ، عن الخوْض فى هذه البحور ، فقصارى[١] المديح ، عجزُ الفصيح ، عن الوصول إلى هذا الفضاء الفسيح ، فأنتقلُ من الثناء ، إلى الدعاء . حفظه الله ورعى . . .

رد عقائد المبطلين

وكتب الشيخ حسن العطار تقريظاً على كتاب ألفه شيخ الإسلام بتركيا : عطاء الله أفندى ، يرد به عقائد قوم مبطلين . ويقول العطار من تقريظه :

ما روضة كللت[٢] السحبُ رُباها بلآلئ القطر ، وتوشحت[٣] أعطافُ قدود غصونها بقلائد الزهر ، وتأرجت أرجاؤها بأريج ريحانها ، وصقلت يد الشمال صحيفة غدرانها ، بأبهج منظرا ، وأورق أثرا من لطافة هذا التأليف ، الذى علا الاتفاقُ على بلوغه الغاية القصوى ، فى تآلف القلوبْ ، وأقرت العقولُ السليمة بأعجازه للنظراء فإنه منحةُ علاّم الغيوب ، ومدت إليه البلغاء أعناقها مستسلمين لإعجاز بلاغته ، ثملين من حُمَيّا[٤] معانيه المشرقة فى كؤوس فصاحته . فللّه هو من جَنّة علْم قطوفها دانية ، لا تسمعُ فيها لاغية ، وَمَجَرّة فَهْم[٥] أضاءت فيها شموس التحقيق ، وأشرقت فيها كواكب التدقيق ، وَحصْن مشيّد على الشريعة الغرّاء ، رُفع على دعائم[٦] الأدلة التى لا يأتيها الباطلُ منْ بين يديها ولا من خلفها . . .

---

(١) قصارى الشىء : غايته . وتقول : قصارى مديحى أى غاية مدحى ومنتهاه .

(٢) كللت السحب الربى أى توجتها وعقدت على رأسها إكليلا .

(٣) توشحت أى اتخذت لها وشاحا ، وهو ما يوضع بين العاتق والكشحين . وقد كانت المرأة العربية تضع لها وشاحا ترصعه بالجواهر لتزين به نفسها .

(٤) الحميا سورة الخمر وشدة أثرها فى النفس ، أو الخمر نفسها .

(٥) المجرة مجموعة من النجوم فى السماء .

(٦) الدعائم جمع دعامة وهى ما يقوم عليه الشىء ويستند إليه .

د ــ الإجازات العلمية :

من إجازة علمية للشيخ حسن البيطار

وكتب العطار إجازة لتلميذه الشيخ حسن البيطار الدمشقى ، حينما كان صاحبنا نازلاً بالشام بعد رحلة إلى تركيا وألبانيا ، يقول فيها بعد ديباجة مناسبة :

أما بعد . فإن الشاب الفاضل ، والأديبَ العالمَ العامل ، الشيخ حسن[١] ابن الشيخ إبراهيم البيطار ، قد حضر عندى حينما حضرت إلى الشام ، جميع دروسى التى قرأتها على التمام ، حضور تدقيق ودراية ، غير أنه قد حضر تلاوة قليل من الأحاديث الشريفة على طريق الرواية . ثم استجازنى بما تجوز لى روايته ، وتسندُ إلىّ عن شيوخى الأعاظم درايته . فتمنعْت قدْرَ الإمكان ، واعترفت بأنى لستُ من أهل هذا الشأن . وعندما ألح علىّ استخرتُ الله وأجزته ، وبمطلوبه ومرغوبه أسعفتهُ ، بما تجوز لى روايته ، وتُنسبُ إلىُ درايته ، عن أشياخى[٢] الذين اقتبستُ أنوارهم ، واغتنمتُ أسرارهمُ ، فهم ولله الحمدُ عددٌ كثير ، كلٌ له قدرٌ خطير . فمنهم العلامة الشيخ محمد الصبان ، والفهامة الشيخ أحمد بن يونس ، والشيخ عبد الرحمن المغربى ، والشيخ أحمد السجاعى ، والشيخ أحمد العروسى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ محمد الشنوانى ، والشيخ عبد الله سويدان ، وغير هؤلاء من السادة الشافعية . وأما من السادة المالكية ، فالإمام الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عرفة الدسوقى ، والشيخ أحمد برغوث ، والشيخ البيلى وغيرهم .

وقد يسر الله لى حين سياحتى فى الديار الرومية[٣] والشامية والحجازية ،

---

(١) الشيخ حسن البيطار من علماء الشام فى عصر العطار ، وهو والد المرحوم الشيخ عبد الرزاق البيطار الذى كان عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق ــ مجمع اللغة العربية الآن ــ ومؤلف كتاب « حلية البشر » الذى ترجم فيه لأعيان القرن الثالث عشر .

(٢) الأشياخ : جمع شيخ ، كالشيوخ .

(٣) الديار الرومية ، هى بلاد تركية ، كما سبق القول فى هامش آخر .

فرأيت جهابذة فضلاء ، وأساتذة نبلاء ، قد تسنموا[١] غارب الفضل ، واجتنوا ثمار العقل ، فأخذتُ عنهم بعضاً من العلوم ، وربحتْ تجارتى بما استفدته من دقائق المنطوق والمفهوم . وكذلك قد أجزتُه بمالى من التآليف ، التى انتهزتُ فيها من الدهر فرصةً بعدَ طول تسويف . فهى جملةٌ من الرسائل والحواشى والشروح ، التى لا تخلو — إذا نُظرتْ بعين الانتقاد — عن مطاعن[٢] وجروح ، فليست مما يستحق أن ينشدَ فى المجالس والمحافل ، ويُذكرَ فى مجالس الأفاضل ، ولكن سأذكر بعضها إزاحةً لعلة التشوُّف[٣] ، وتبريداً لغليل التطلّع والتلهُّف...

هـ — كتابة الشروط والصكوك :

علم الوثائق عند حسن العطار

جعل العطار فى كتابه « الإنشاء » قسماً خاصًّا بكتابة الشروط والوثائق ، وما يجب فيها من الاحتياجات ، وما يشترط لها من الآلات . وهو يحدثنا فى السطور التالية عن كتابة الشروط والعقود :

هذا فنٌّ مستقلٌّ مغايرٌ لفن الإنشاء الذى هو القسمُ الأول . وقد أفردَ العلماءُ كل قسم من هذين القسمين بالتآليف ، وأكثروا فيهما من التصانيف . وسُمِّى هذا القسمُ بكتابة الشروط ، لأنه عبارة عن شروط مجتمعة فى كلِّ عقدٍ من العقود الشرعية . ويُسمى « علم الوثائق » أيضاً ؛ لأن وثوق الشهود وأربابِ الحقوق بالصكوك . وهذا القسمُ نفعهُ غيرُ منكور ، وفضلهُ مشهور . لأن به تُصانُ حقوقُ الورى[٤] عن النسيان ، وتحفظ من الجحود والإنكار . ففائدته حفظُ الأموال من الجانبين . لأن صاحبَ الحق إذا علم أن حقه قيد بالكتابة

---

(١) تسنَّموا غارب الشىء أى صعدوا قمته . وأصل الغارب : كاهل الفرس ، وأعلى كل شىء .

(٢) يبدو هنا تواضع حسن العطار الذى جعل مؤلفاته غير خالية من الطعن .

(٣) التشوف التطلع إلى الشىء والإشراف بالنظر إليه .

(٤) الورى : الناس .

احترز عن طلب الزيادة فى حقه ، وعن تقديم المطالبة قبل حلول الأجل . ثم إن من الوثائق ما يكتبُ بين يدى القضاة ، ومنها ما يكتبه الناس بين يدى محكَّم ، أو بما يقع به التراضى بينهم فى المبايعات والإجازات وغيرهما من العقود . والغرض الذى نحن بصدده ذكرُ بعض صُور مما هو المتعارَفُ الآن بين الناس فى كتابة المعاملات ، ويُقاسُ عليها غيرُها ، لأن الحوادث التى تحتاج للكتابة لا تتناهى ، ولكن إذا عُملت الأصولُ سهلَ معرفةُ الفروع . وينبغى أن تكون الكتابة على ورق أبيض قوى ، يبقى أزمنةً بحيثُ لا يتفتَّتُ ولا يتمزَّق ، وتكونُ الكتابة بمداد أسودَ لا ينتشر ولا يمحى . ويُراعى فى الكتابة نسقُ الأسطرُ فى طول المكتوب وعرْضه ، بحيثُ إذا زيدَ حرفٌ بين حرفين أو ألحقتْ كلمة بأحد جانبى السطر ظهر ذلك ولم يخفَ . وتُميَّزُ الأحرفُ المتشابهةُ بعضها عن بعض بعلامات مميزة دالة على المراد بها كالحاء والخاء والجيم والراء والزاى والنون وما أشبه ذلك . فأن سبقَ قلمه إلى غلط كشطه وأصلحه . ويكتب فى آخر الكتاب قبل ذكر التاريخ أن الكشط والإصلاح فى السطر الفلانى فى اللفظ الفلانى صحيحٌ من الأصل . ويكتبُ اسم كل من المتعاقدين ونسبهما وقبيلتهما ، وألقابهما وصفتهما . وأقل ما يكتبُ فى النسبة ثلاثةٌ ، فإنه قد يقعُ الاشتباهُ فى النسب . وإن كان فيهما من غلبت كنيتهُ على اسمه كتب كنيتهُ . ويجهولُ النسب والبلاد يذكر حليته المختصة به التى يتميز بها عن غيره .

وليكتبْ قدْرَ المبيع [1] وصفتهُ ، فإن كان عقاراً عرّفه بالتحديد بالجهات ، أو حيواناً فبالنعوت [2] . ويكتبُ الثمنَ قدْراً ، ونوعا ، وصفة ، ووزناً ، حالاً أو مؤجّلاً . ويكتبُ صفة العقد والعاقدين اثنين أو أكثر .

---

(١) المبيع : الشىء الذى يباع . وهو اسم مفعول من الفعل : باع . ومن الخطأ الشائع اليوم قولهم : شىء مباع .

(٢) النعوت : جمع نعت وهو الوصف .

و ــ من مقدمات حواشيه :

شرح التهذيب فى المنطق

أكثر العطار من حواشيه وشروحه على الكتب القديمة فى مختلف العلوم. وهنا المقدمة التى كتبها لحاشيته على كتاب «شرح التهذيب» للعلامة الخبيصى فى المنطق :

تهذيبُ المنطق والكلام افتتاحه بالحمد ، وتوشيحه بالشكر الذى به النعم تمتد . فالحمد لله فاتحةُ كل كتاب ، وخاتمةُ كل دعاء مُجاب. فللّه الحمدُ فى الأُولى والآخرة وله الحكم[١] ، والمطالبُ لسواه إذا رُفعتْ فهى عُقَمْ . والصلاة على رسوله الأعظم ، ونبيه الأكرم هى العروة الوثقى للمستمسكين ، والوسيلةُ العظمى للمتوسلين . فعليه من الله أفضلُ صلاة وأزكى سلام ، يتواليان عليه وعلى آله الفخام ، وصحبه الكرام. وبعد : فيقول الفقيرُ أبو السعادات حسن ابن محمد العطار ، غفر الله ذنوبه ، وستر فى الدارين عيوبه : إن « شرح التهذيب » للعلامة الخبيصى[٢] ، مع وجازة ألفاظه ، وسلامة معانيه ، محتاج إلى تتميم بعض مباحثَ ، وكشف غوامضَ لمن يعانيه . وقد وَضَع العلامةُ الشيخ (يس) عليه حاشية ضم فيها منْ كلم القوم أطرافاً ، وأسعفَ طالبيه بها إسعافا . بيدَ أنه امتد إليها من أيدى النقلة التحريف ، وشوّهوا محاسنها بكثرة التصحيف ، هذا مع نقله كلامَ الغير بدون عزْو[٣] ، ووقوعه بمقتضى الطبع البشرى فى السهو. وتلاه العلامة ابن سعيد المغربى ، فشغف بالاعتراض عليه ، وولع بتعقّبه فى كل ما عوّل عليه. وقد ألجأه ذلك إلى الاعتساف[٤] ، وتجاوُز

---

(١) المطالب : جمع مطلب وهو ما يطلبه الإنسان من حاجات العيش . وإذا رفعت المطالب إلى غير الله فإنها عقيمة غير مجدية .

(٢) الخبيصى : عالم من رجال القرن الثامن الهجرى اشتهر بالمنطق والنحو . وهو الوحيد فى أعلام الأمة العربية الذى يحمل هذا اللقب الغريب ــ توفى سنة ٧٣١ هـ . (٣) العزو : النسبة .

(٤) الاعتساف : هو الجور وركوب الأمر بلا تدبر ولا روية .

الإنصاف . ووقعَ فى أوهام وأغاليط تعكر الأفهام . وقد قيلَ فيما سبق من الأمثال ، التى تناقلها الرجال : قَلَّ إن سَلِمَ مكثارٌ[١] ، أو قيل له عثار . وكثيراً ما ينقل عبارة غيره موهماً أنها مما له سَنَحَ ، عندما أوْرى زناد فكره وقدَح . وربما أطال فى بعض المواضع ذيل الكلام ، مع عدم ملاءمته الحال واقتضاء المقام . فتوعَّرتْ[٢] بما ارتكباه للطالب المسالك ، وتعسرت عليه المدارك . وصار الكتاب بسبب ذلك لغيرهما محتاجاً ، ومفتقراً لمن يسلك سبيل العدالة منهاجا . فوضعتُ هذه الحاشية إسعافاً للطالبين ، وإشفاقاً على المشتغلين ، متجنباً طَرَفَى التفريط والإفراط ، ناظماً ما التقطته من جواهر النُّقول فى أسْماط[٣] ، ملخصاً من الحاشيتين ما صفا ، مُوضِّحاً ما تركاه مستوراً بذيل الخفا . وما نقلاه عن الغير فإليه أرجع ، ومنه أستمد وأتبع ، منبهاً بعزوه إلى قائله على أنهما منه أخذاه ، وأبْهما طريق مَعْزاه[٤] . وربما حَذَفا من الكلام ما تتم به فائدته ، وتعظمُ عائدته . فأذكرُه تتميماً للكلام ، وتوضيحاً للمقام ، معوِّلاً فى النقول ، على ما هو مقبول ، عند علماء المعقول . هذا مع اعترافى بفضل سَبْقهما ، وبُعْدِ شأوهما ، مع قصورى عن الجرى معهما فى ميدان ، وعجزى عن مزاحمتهما فى هذا الشان . . .

---

(١) المكثار : هو من يكثر من الشىء أو الكلام وهى صيغة مبالغة .

(٢) توعرت المسالك : صارت وعرة صعبة .

(٣) الأسماط : جمع سمط وهو السلك أو الخيط الذى تنظم فيه اللآلئ والخرز .

(٤) طريق معزاه — بالعين المهملة — أى طريق نسبه إلى صاحبه وعزوه إليه .

مقدمة العطار على حاشية الأزهرية

شرح الشيخ خالد على الأزهرية فى علم النحو مشهور وخاصة لطلاب الأزهر والدراسات النحوية . وقد صنع العطار عليه حاشية معروفة ، وكتب لها المقدمة التالية وفيها شيء من سيرته ورحلته :

أما بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله ، فيقول الفقير حسن بن محمد العطار الشافعى المصرى الأزهرى ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه : هذه حواشٍ كنتُ جمعتها على شرح الأزهرية فى علم النحو ، وقت قراءتى لذلك الكتاب بالجامع الأزهر لبعض الطلبة ، ثم شرعتُ فى نقلها من المسودة ، فدهم مصرَ ما دهمَها من حادثة الكفرة الفرنسيس[1] ، فخرجتُ فارًّا من مصر إلى البلاد الرومية ، مستصحباً للمسودة وغيرها من بعض كتبى . فأقمتُ بالبلاد الرومية مدةً طويلة ، ثم توجهت إلى دمشق الشام ، فصادف دخولى فيها[2] زوال يوم الجمعة الثانى من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائتين وألف ، فالتمس منى بعضُ إخوانى من أهل العلم بتلك البلدة ، قراءة الكتاب . فشرعتُ فى نقل هذه الحاشية وكتابتها ، رَجاءَ أن ينتفعَ بها إخواننا طلبة العلم فأفوز بدعوة أخ صالح ينظر فيها .

وأسأل الله أن ينفعَ بها ، ويختمَ لى بالإيمان ، ويغفرَ لى الخطايا بمنه وكرمه . وهو حسبى ونعم الوكيل .

---

(١) يقصد العطار حادث الحملة الفرنسية على مصر ، وقد شهده واتصل ببعض رجال الحملة ، كما اتصل بهم بعض علماء ذلك العصر ومنهم الجبرتى المؤرخ .

(٢) الزوال هو وقت الظهر .

المراجع والمصادر

مرتبة وفق حروف الهجاء

الآثار الفكرية : أمين فكرى — مطبعة بولاق — القاهرة ١٣١٥ هـ

الآداب العربية فى القرن التاسع عشر : الأب لويس شيخو اليسوعى . بيروت سنة ١٩٢٤

أدب المقالة الصحفية : د . عبد اللطيف حمزة — دار الفكر العربى — القاهرة سنة ١٩٥٠

الأزهر : محب الدين الخطيب — المكتبة السلفية ، القاهرة سنة ١٣٤٥ هـ

الأزهر : د . عبد الحميد يونس ؛ عثمان توفيق — القاهرة سنة ١٩٤٦

الأزهر بين الماضى والحاضر : منصور على رجب — القاهرة سنة ١٩٤٦

أعيان البيان : حسن السندوبى — القاهرة سنة ١٩١٤

أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث : أحمد تيمور — القاهرة سنة ١٩٦٧

الإنشاء : حسن العطار — القاهرة سنة ١٩٣٦

بناء دولة : د . محمد فؤاد شكرى وزملائه — دار الفكر العربى — القاهرة سنة ١٩٤٨

تاريخ آداب اللغة العربية : جرجى زيدان — دار الهلال — القاهرة سنة ١٩٦٠

تاريخ الأستاذ الإمام : السيد محمد رشيد رضا — مطبعة المنار — القاهرة سنة ١٩٣١

تاريخ الإصلاح فى الأزهر : عبد المتعال الصعيدى . القاهرة سنة ١٩٥٨

تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على : د . جمال الدين الشيال — دار الفكر العربى — القاهرة سنة ١٩٥١

تاريخ الحركة القومية : عبد الرحمن الرافعى . القاهرة سنة ١٩٢٩

تاريخ الصحافة العربية : فيليب دى طرازى — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٩١٣

تاريخ الوقائع المصرية : إبراهيم عبده — مكتبة الآداب — القاهرة سنة ١٩٤٦
التوفيقات الإلهامية : اللواء محمد مختار — بولاق — القاهرة سنة ١٣١١ هـ
حاشية العطار على جمع الجوامع — المطبعة العلمية — القاهرة سنة ١٣١٦ هـ
حاشية العطار على شرح الأزهرية — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة
حاشية العطار على شرح الخبيصى — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة سنة ١٩٦٠
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : عبد الرحمن السيوطى — مطبعة الوطن — القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ
حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر : عبد الرزاق البيطار — دمشق سنة ١٩٦١
حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى : كراتشكوفسكى ، ترجمة كلثوم عودة ، تحقيق وتعليق محمد عبد الغنى حسن — المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب — القاهرة سنة ١٩٦٤
الخطط التوفيقية : على مبارك — مطبعة بولاق — القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ
دائرة المعارف الإسلامية : ترجمة اللجنة
دراسات فى الأدب العربى والتاريخ : محمد عبد الغنى حسن — الدار القومية — القاهرة سنة ١٩٦٧
ديوان إسماعيل الخشاب — مطبعة الجوائب — القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ
« الإشعار بحميد الأشعار : السيد على الدرويش — مصر سنة ١٢٧٠ هـ
« سجع الحمامة : بطرس كرامة — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٨٩٨
« محمد شهاب الدين — القاهرة سنة ١٢٧٧ هـ
رفاعة الطهطاوى : د . حسين فوزى النجار — سلسلة أعلام العرب رقم ٥٣ — القاهرة

روضة المدارس : مجلة رأس تحريرها الشيخ رفاعة الطهطاوى — القاهرة سنة ١٢٨٧هـ
الشيخ الحسين بن أحمد المرصفى : محمد عبد الجواد — دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٢
عبد الرحمن الجبرتى : خليل شيبوب — سلسلة اقرأ ، عدد رقم ٧٠ — القاهرة سنة ١٩٤٨
عجائب الآثار ، التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرتى — مطبعة بولاق — القاهرة ١٢٩٧ هـ
عجائب الآثار . فى التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرتى — طبعة لجنة البيان العربى — القاهرة سنة ١٩٦٤
عصر محمد على : عبد الرحمن الرافعى — القاهرة سنة ١٩٣٠
فهرس الخزانة التيمورية : دار الكتب المصرية — القاهرة سنة ١٩٤٨
فى الأدب الحديث : عمر الدسوقى — القاهرة سنة ١٩٦٤
لمحة فى تاريخ الأزهر : د . على عبد الواحد وافى — القاهرة سنة ١٩٣٦
مصر فى القرن الثامن عشر : محمود الشرقاوى — القاهرة سنة ١٩٥٥
مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس : عبد الرحمن الجبرتى — دار المعارف — القاهرة
المفصل فى تاريخ الأدب العربى : أحمد الإسكندرى وزملاؤه — القاهرة سنة ١٩٣٦
المقرى صاحب نفح الطيب : محمد عبد الغنى حسن — الدار المصرية للتأليف والترجمة — سلسلة أعلام العرب — القاهرة سنة ١٩٦٦
المنتخب من أدب العرب : د . طه حسين وزملاؤه — القاهرة سنة ١٩٣٦
نشأة النثر الحديث : عمر الدسوقى — القاهرة